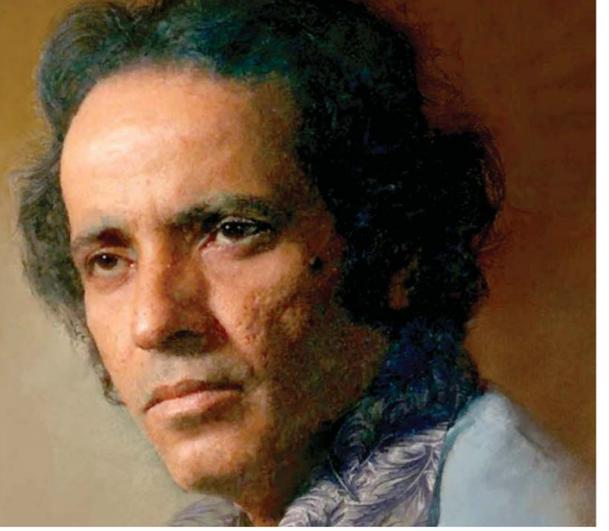


بليغ حمدي.. من كان مثله لا يموت

عاشق هجر القانون وتفرغ للموسيقى



بليغ حمدي «ابن الجنية» الذي غزا عالم الكبار



قصة حب نجت فنيا وفشلت عاطفيا

أما مع مطربة الجيل، ميادة الحناوي، فقد قدم لها العشرات من الأغاني الناجحة، وكان عطاء العشر سنين الأخيرة لبليغ موجها بشكل حصري تقريبا للمطربة ميادة. غنت من كلماته و«الحانه» الحب اللي كان» و«أنا بعشقتك».

وحينما ظهرت المطربة المغربية عزيزة جلال في نهاية السبعينات، وغنت أغنية «مستنيك»، من الحان بليغ، حققت شهرة واسعة، وبقيت الأغنية متصدرة للبيت في الكثير من التلفزيونات العربية والإذاعات، كما باعت شركة عالم الفن أكثر من مليوني نسخة منها.

وتطول القائمة لتشمل: هاني شاكر، سعدون جابر، أصالة نصري، نعيمة المغربية، نادية مصطفى، فهد بلان، محمد العربي، طلال مداح، محمد عبده، شهرزاد، سوزان عطية، هدى سلطان، فايدة كامل، محرم فؤاد، لطيفة، نهاد طلابية، النقشبندية والفنانة الراحلة ذكرى، وكان يعتبرها آخر اكتشافاته الفنية.

وكما كانت وردة سببا لاختلال العلاقة بين بليغ وعبدالحليم، كان عبدالحليم سببا في علاقة الحب التاريخية بينها وبين بليغ

حقا هو مصنع للموسيقى.. لو لحن للحجر، لنطق الحجر وغرد.

تجنبت الغوص في الجانب التقني لآلحان بليغ، وذلك لسببين، الأول: أنني لست من أهل الاختصاص. والثاني: لا أعتقد أن هذا مكان الحديث عنه. ولكن ساكتفي بملاحظة، أعتقد أنها السر وراء جاذبية آلبان: كان بليغ يحرص على ألا يقيد المغني بلحن؛ يترك المغني ينطلق، لتتناسب آلبان مع الكلمات. وهذا لا يصدر إلا عن عبقري مقتدر.

هناك قصة تروى عن الفنان الفرنسي الكبير بول سيزان الذي قال يوما إن العالم سيحتاج إلى مئة عام لينتج فنانا بقيمته.

من يعرف سيزان وأثره على الفن الحديث، يعرف أن الفنان على حق. مضى على ولادة بليغ حمدي، الذي غادرنا، 89 عاما، ونحن ننتظر الآن أن يظهر في عالمنا العربي، فنان بقيمته، فهل يتحقق ذلك، عندما تكتمل الأعوام المئة؛ ما علينا إلا أن ننتظر.

كان عبدالحليم يعرف جيدا قيمة وقد بليغ، وهو الذي قال عنه يوما إنه «أمل مصر في الموسيقى»، لدرجة أنه فكر جديا في احتكار إبداعه.

وبعد زواج بليغ من المطربة وردة الجزائرية صرح بعض الأصدقاء المقربين للطرفين بأن عبدالحليم لم يكن سعيدا بهذا الزواج، وفسر البعض ذلك بأن عبدالحليم يخشى من أن تنال وردة الريصد الأكبر من إبداعات بليغ بعد أن أصبح زوجا لها.

والخلاف الذي ظهر فجأة سرعان ما انتهى كما بدأ، وعادت علاقة بليغ بعبدالحليم وطيدة.

وكما كانت وردة سببا لاختلال العلاقة بين بليغ وعبدالحليم، كان عبدالحليم سببا في علاقة الحب التاريخية بينها وبين بليغ.

ولتحدث عن أجمل قصة عشق عرفها الوسط الفني.

كل شيء بدأ بأغنية «تخونوه»، ليختتم في ما بعد بأغنية «العيون السود».

كان بليغ يعد أغنية «تخونوه» لتغنيها ليلي مراد، وسمعتها عبدالحليم، فطلب من ليلي أن تتنازل له عن الأغنية، فحصل ذلك، وقادت تلك الأغنية بليغ إلى ما لا يمكن توقعه.

كانت الأغنية سببا في لقائه بعد سنوات بالفنانة وردة الجزائرية، التي سافرت خصيصا إلى مصر، بحثا عن بليغ، طالبة الزواج منه حبا في «تخونوه».

وبالفعل تتطور علاقتهما، وسرعان ما تطرح فكرة الزواج. ويجه بليغ إلى منزلها، ليقابل برفض أسرتها التي تعترض على زواج ابنتها من رجل يعمل في الوسط الفني. وهو الموقف الذي وصفه الناقد الشساوي بـ«الغريب»، متسائلا باستنكار «كيف تعمل في الوسط الفني وترفض أسرتها زواجها من هذا الوسط!».

رسائل مشفرة

رغم ذلك تظل علاقتهما مستمرة ويدخل كل منهما بكر الأمل بالزواج، وأدركت الأسرة تعلق ابنتها ببليغ، فتقرر الأبعاد خشية على وردة، وتساfer بها إلى الجزائر أواخر 1962، حيث تزوج من ضابط جزائري.

يغرق بليغ بالحنانه، ليتجاوز حزنه على فراقها. وتغني أم كلثوم في نفس العام أغنيته «كل ليلة وكل يوم، أسهر لبحر في انتظارك يا حبيبي».

لم يسمع بليغ للأحزان أن تقعه عن العمل؛ يسافر إلى بيروت وأوروبا ولندن بصحبة عبدالحليم وعمر الشريف. وكانت لبليغ بصمته أيضا حل.

وبنساء القدر أن يجمعه بوردة بعد سنوات. تدعو وردة فنانين من مصر إلى حفل بالجزائر، ومن بينهم بليغ ولبليلة والشاعر محمد حمزة، هناك يعزف بليغ ويبدن أغنية «العيون السود»، وكانما به يرسل إليها رسائل مشفرة «كل غنوة على الفرح كانت، على الجرح كانت، وعلى الصبر كانت، وعلى الحب كانت، كتبتهما وقتها كانت عشانك».

أغنية كان يستعد لتسجيلها مع نجاة الصغيرة قبل السفر. ويتبادل بعض الحضور نظرات وابتسامات خفيفة ذات مغزى، ليتدخل الشاعر محمد حمزة، ملطفا الموقف، قائلا لوردة «بليغ يعبر عن رغبتنا جميعا في عودتك لجمهورك».

عاد المدعوون إلى مصر، وبعد أقل من شهر لحقت بهم وردة، في السادس من أغسطس 1972، بطفلتها وداد وطفلاها رياض، وكان بليغ في انتظارها بالمطار. قدمت وردة حفل العوددة وغنت أغنية «العيون السود».

أول لقاء بين أم كلثوم وبليغ جرى في منزل طبيبها زكي سويدان، وكان محمد فوزي قد دعا بليغ لقضاء السهرة معه هناك، وكانت أم كلثوم ضيف شرف السهرة.

وقتها لحن بليغ وعزف وهو يجلس على الأرض، وطلبت الست منه أن يسمعها آخر آلبانها، فسارع فوزي يهمس في آذنه «حب إيه.. حب إيه».

راح بليغ يعزف على العود ويبدن. ووسط زهول الضيوف الحاضرين، جلست أم كلثوم بجواره على الأرض، وطلبت منه الإعادة أكثر من خمس مرات. وقبل أن تغادر السهرة، التفتت إليه وقالت «يا واد يا بليغ، أنا عايزاك بكرة الصبح في بيتي». في تلك الليلة لم ينم بليغ، أنتظر طلوع الفجر وراح يعد الدقائق والثواني حتى منتصف النهار، ليتوجه إلى منزل الست. لتبدأ منذ تلك اللحظة علاقة فنية أثمرت روائع خالدة أبرزها «أنسك» و«ظلمنا الحب» و«كل ليلة وكل يوم» و«سيرة الحب» و«بعيد عنك» و«فات الميعاد» و«الف ليلة وليلة» و«حكم علينا الهوى»، وهي آخر أغنية قدمتها أم كلثوم عام 1973.

إذا كانت هذه الحادثة شكلت أكبر انتقال في حياة بليغ، حسب إجماع بليغ وبين عبدالحليم كان لها تأثير لا يقل أهمية عن علاقته بأم كلثوم.

حدث ذلك قبل ثلاث سنوات، في عام 1957 تحديدا.

في هذا الوقت كانت علاقة عبدالحليم قد توطدت بالموسيقار محمد فوزي، الذي أعطاه فرصة كبيرة من خلال شركته «مصر فون»، وقدم أول آلبان لعبدالحليم حافظ في أغنية «تخونوه»، في فيلم الوسادة الخالية.

ومنذ الخمسينات وحتى منتصف السبعينات، قدم بليغ حمدي 30 أغنية مع عبدالحليم، وربطت بينهما علاقة قوية. التعاون الذي بدأ لأغنية «تخونوه» جاءت بعده أغنية «خسارة» و«خايف مرة أحب» و«سواح» و«على حسب وداد قلبي» و«التوبة» و«جانا الهوى» و«الهوى هو أيا» و«موعود» و«زي الهوا» و«مداح القمر» و«حاول تفكرني» و«أي دعة حزن لا» و«حبيبي من تكون».

شكل عبدالحليم وبليغ ثنائيا فنيا يصعب تكراره، فقدما سويا أعظم وأنجح الأغانى التي لا تزال عالقة في ذهن الجمهور.

إرهاب فني

فجأة تغيرت العلاقة بين الثنائي، وانقلبت إلى النقيض تماما، وفاجأ عبدالحليم جمهوره ذات يوم، حينما وصف بليغ بـ«الإرهابي الفني».

استطاع بليغ حمدي أن يتربع على عرش الموسيقى، رأت كوكب الشرق أم كلثوم في آلبانها فرصة للتجديد، وخلع الشيخ النقشبندية «عمامته» من فرط جمال «مولاي إني ببابك»، ليقول له «أنت جن»، وقال عنه محمد فوزي «بليغ حمدي هيغير شكل الموسيقى 60 سنة لقدام».. وقد كان.

في الخامس من شهر أكتوبر 1960 غنت أم كلثوم، لأول مرة، من الحان بليغ حمدي، أغنية «حب إيه»، وبعد يومين احتفل بليغ بعيد ميلاده الـ29.

شاعت الأقدار أن يولد بليغ ويتربع في بيئة علمية وفنية، كان والده أستاذا للفيزياء في جامعة القاهرة، وهو إلى جانب ذلك عازف عود، ووالدته شاعرة. وكانت للعائلة صداقات من الوسط الفني، من بينهم محمد القصبي وزكريا أحمد. في هذه الأجواء بدأ بليغ تعلم العزف على العود وهو في السابعة، ليحببه وهو في التاسعة من عمره.

يسترجع بليغ مرحلة الطفولة في حياته، وكيف كان يستمع إلى كبار المطربين في ذلك الزمن، ولطالما حدث نفسه قائلا «المطربين دول لما أكبر ح لحن لهم».. وهذا ما حصل.

الموهبة وحدها لا تكفي

في تلك الفترة المبكرة من حياته تعرف بليغ حمدي على مستشار الإذاعة المصرية محمد حسن الشجاعى، الذي أقتعه باحتراف الغناء، وبالفعل سجل أربع أغنيات، ووضع لحن أغنيتين للفنانة فايدة كامل، هما «ليه ليه» و«ليه فانتى ليه»، وتبعهما بـ«ما تحبنيش بالشكل دا» للفنانة فايزة أحمد.

وفي أواسط الخمسينات استطاع بليغ حمدي أن يفرض نفسه في عالم مليء بالمحنيين الكبار. بالطبع أزعج اختراقه «السلسل» لهذا العالم البعض من سكانه، الذين راحوا يتهايمسون «ابن الجنية ده طلع لنا منين».

الموهبة وحدها لا تفتح الطريق، لا بد من شخص يفتح الأبواب. بالنسبة لبليغ كان الفنان محمد فوزي، الشخص الذي فتح له الأبواب، وقدمه إلى كبار المطربين، ومنهم أم كلثوم.

صداقة أخرى قرّبت المسافة بين بليغ وكوكب الشرق؛ كان بليغ صديقا للشاعر الغنائي عبد الوهاب محمد، وفي أحد اللقاءات، عرض عليه كلمات تقول «حب إيه اللي إنت جاي تقول عليه.. إنت عارف قبيل معنى الحب إيه؟»، كلمات مشبعة بالروح المصرية وخفة دم المصريين، كان لها وقع السحر على بليغ، ليبدأ لتوه في صياغة لحن لها.

كانت أم كلثوم تبحث عن التجديد، فطلبت من محمد فوزي أن يلحن لها، إلا أنه اعتذر قائلا «عندي ليكي حنة ملحن يجان. مصر حتغني الحانه 60 سنة لقدام».

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

الكتابة عن بليغ حمدي مغامرة أشبه ما تكون بالسفر في حقل الغام، ليس فقط لقيمة بليغ الموسيقية أو لحياته المثيرة للجدل، ولكن، لأن المصريين أحق بالحديث عنه. رغم ذلك، لا بد من المغامرة، عسى أن أوفق وأقنع سكان حارة السقاين بشراء الماء الذي أبيعهم لهم.

نبتي منين الحكاية؟

قد يكون عام 1960 هو العام الأنسب للحديث عن بليغ حمدي؛ فهو العام الذي شهد أول لقاء جمعه بكوكب الشرق أم كلثوم.

الحقوقي، الذي قرر هجر القانون للتفرغ لعشقه الأول، الموسيقى، وهو في عامه التاسع والعشرين، شاب نحيل بوهيمي المظهر، يقف وجها لوجه مع هرم مصر الغنائي الست؛ التي تفرغ شوارع القاهرة عند بث أغنية جديدة لها.

كنت في الخامسة عشرة من عمري، أعيش في مدينة اللاذقية على الساحل السوري، ومازلت أذكر اليوم الذي غنت فيه أم كلثوم رانعتها «الف ليلة وليلة»، يومها انتظر السوريون رجالا ونساء، موعد بث الأغنية، وكانى بهم ينتظرون إلقاء كلمة لرئيس الجمهورية يتوقف عليها مصير البلد.

أدركت أم كلثوم بفطنتها أنها الآن بحضرة الملحن الذي سيحدد رصيدها الفني وينقلها إلى عالم جديد

حدث ذلك بعد تسع سنوات من لقاء الست ببليغ حمدي، الذي كان يبدن بكلمات الشاعر عبد الوهاب محمد «حب إيه اللي إنت جاي تقول عليه». كلمات غير عادية ولحن غير عادي، يختار السامع بأمره.

أدركت أم كلثوم بفطنتها أنها الآن بحضرة الملحن الذي سيحدد رصيدها الفني، وينقلها إلى عالم جديد، عالم مشبع بالروح الشعبية وخفة الدم التي عرفت عن أهل مصر.



رحلة فنية بدأت بأغنية «تخونوه»